القول المبين

فى حكم دعاء ونداء الموتى والانبياء الصالحين

تأليف

محمد محمد مخيمر

من علماء الأزهر

مطبعة طهطا بحلقوم الجمل بالتربيعة بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

(هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب) (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) (هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون) (قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين) (قل إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم) (قل الله أعبد مخلصاً له دينى فاعبدوا ما شئتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين ، لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عبادى فاتقون) (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب) (وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون) وروى الشيخان وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال

(افترق اليهود والنصارى على ثنتين وسبعين فرقه وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدةً قالوا فمن هي يارسول الله قال التي تكون على مثل ما أنا عليه وأصحابى) بعد تلك الآيات المحكمات فهذه رسالتي إلي أهل الاسلام ووصيتي وعهدى بين الله وبين الناس أنى بلغت ما بلغه رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذه الامة من الحق فيما اختلفوا فيه كما أنى مطالب بين يدي الله كل من أطلع عليها ثم لم يعمل بما فيها فانها مشتملة على ما كان عليه هو وأصحابه في المسائل التي وضعت من أجلها ولعلها تكون معذرة لى عند الله حينما يسأل سبحانه وتعالى العلماء عن إهمالهم تبليغ دعوة رسوله صلي الله عليه وسلم على الوجه الصحيح وحجة لي عنده كما أنها حجة لله على من خالف ما فيها (وعلى الله قصدُ السبيل ومنها جائرٌ ولو شاءَ لهداكم أجمعين) (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولاتتبعوا السُبُلَ فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذى أنزل على عبده ورسوله محمد عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه ومن تبعهم بخير وإحسان قوله عز وجل (قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن أتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين) أما بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسوله وصحبه وآله فهذه رسالة تشتمل على ما يلزم المسلم معرفته من عقائد دينه سميتها « بالقول المبين فى حكم دعاء ونداء الموتى من الانبياء والصالحين » ورتبتها على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة وأودعتها من الابحاث العلمية على صغرها مالا يتيسر الحصول عليه من كبار الكتب والله أسأل أن يجعلها خالصة لوجهه وأن ينفع بها كل من قرأها وسمعها وأن يتفضل بالمعونة والتوفيق والهداية إلى الصراط المستقيم إنه هو السميع البصير البر الرحيم

مقدمة

إعلم أنه قد كثر اختلاف الناس قديماً وحديثاً فى حكم من دعا صاحب قبر أو توسل بمخلوق من المخلوقين إلى الله عز وجل

بعد انتقاله إلى الدار الآخرة ممن عرفوا بالتقوى والاستقامة على الطريق الحق . ونحن نبين حكم هذه المسائل على الوجه الذى بينه الكتاب والسنة واتفقت عليه كلمة المهتدين من هذه الامة فنقول وبالله التوفيق .

لابد قبل الكلام على هذه المسألة من معرفة أمور الاول الوقوف على مشركى العرب وفرقهم وبيان هذا الاصل ينفع فى معرفة الحق فى هذه المسائل ويرد قول من قال إن آيات القرآن قد نزلت فى عباد الاصنام فقط فلا يصح تنزيلها على غيرهم ممن آمن وصلى وصام فان هذا القول قد اغتر به كثير من علماء المسلمين وبيان فساده من وجهين — الاول أن أئمة المسلمين متفقون على أصل مشهور وهو أن العبرة فى التشريع بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فاذا كانت الآيات التي ذمت من كانوا يدعون الاصنام نزلت بسببهم فانها بالقاعدة المتقدمة تعم كل من عمل عملهم — والوجه الثانى — الذى يبطل حمل الآيات على أهل الاصنام وحدهم أن المشركين كانوا أربع فرق . الفرقة الاولى تنادي الأصنام والفرقة الثانية تنادي الجن والثالثة تنادى الملائكة والرابعة تنادي الانبياء

والصالحين من الموتى وكل فرقة تستغيث وتنادى من تدعوه ومن هذه الفرق من كان يعترف بالبعث ومنهم من كان ينكره لكن الفرقة التي كانت تعترف بالبعث تعترف به على وجه غير صحيح إذ كانت تزعم أنها مهما عملت من الذنوب فان مآلها إلى الجنة معتمدة على أن من تستغيث بهم وتدعوهم من دون الله يخلصونها بما لهم من المنزلة والجاه عند الله تعالى وهذا البيان الذى ذكرناه من افتراق المشركين الى هذه الفرق قد بينه القرآن وتكلم مع كل فرقة بحسب ما تعتقد واليك الآيات التى تدل على ذلك وهى قاطعة فيما قلنا .

الفرقة التي كانت تدعو الجن (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقولُ للملائكةِ أهؤلاءِ إياكمْ كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنتَ ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجنَ أكثرهم بهم مُؤمنون فاليوم لا يملكُ بعضُكم لبعض نفعاً ولا ضرا) «سورة سبأ» وقال تعالى فى شأن هذه الفرقة (وجعلوا لله شركاء الجنَّ وخلقهمْ وخرقوا[1] له بنينَ وبنات بغير علمٍ سبحانه وتعالى عما يصفون) «سورة الانعام» وقال تعالى فى شأن الفرقة التى كانت تدعو الانبياء والصالحين

---

(١) اخترعوا

وتناديهم وتستغيث بهم (إنّ الذين تدعون من دون الله عبادٌ أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين الى قوله قل إدعو شركاءكم ثم كيدُون فلا تنظرون إنّ وليي الله الذى نزل الكتابَ وهو يتولي الصالحين والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون) سورة الاعراف وقال تعالى فى شأن هؤلاء أيضاً (قل ادعو الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أؤلئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقربُ ويرجون رحمته ويخافون عذابه) سورة الاسراء ولا يمكن لعاقل أن يزعم أن الأصنام ترجو رحمة أو تخاف عذابا وإنما ذلك يكون للذين يعبدون الله حق العبـــادة والآية تشمل بعمومها من كانوا يدعون الملائكة وسيأتى الكلام على هذه الآية مفصلا فى محله . وأما الذين كانوا يدعون الاصنام فهم أحط الفرق من المشركين الا أن كل هذه الفرق كانوا يعتقدون أن الخالق لكل شيء هو الله تعالى وأن دعاءهم لمن يدعون ليقربوهم الي الله زلفي كما حكى الله تعالى ذلك عنهم جميعاً بقوله (والذين اتخذُوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) سورة الزمر

وسيأتى مزيد لهذا البحث فى الكلام على بيان عقيدة المشركين كما بينها القرآن . ومن هذا يتبين أن قول بعض الناس ان الآيات نزلت فيمن كانوا يعبدون الأصنام وحدهم قول باطل فان القرآن تكلم مع كل الفرق كما بينا فاحفظ هذا الأصل فانه ينفعك فى كثير من هذه المسائل التى اختلفوا فيها والى هنا نشرع فى المقصود من وضع هذا الكتاب وبالله التوفيق .

الباب الاول فى أمور عامة لابد من معرفتها

السؤال الاول : ماحكم الذاهب إلى القبور لسؤال أصحابها ودعائهم وندائهم وسؤال الله تعالى بهم والاستغاثة بهم فى جلب نفع ودفع الضر للمستغيث والسائل .

السؤال الثانى : هل يوجد فى كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم أو عمل أصحابه أو الذين اتبعوهم باحسان أو عمل أو قول الأئمة المجتهدين أن الامور المذكورة فى السؤال الاول يجوز فعلها لاحد من الناس .

الجواب

لابد لمن يريد أن يعرف جواب هذين السؤالين أن يعلم أولا أن

هذه الامور المسؤول عنها لا دخل للعقل ولا للقياس فيها لانها أمور منها ما يتعلق بالعقائد ومنها ما يتعلق بالعبادات ولا سبيل إلي معرفة الامرين إلا من الشرع . وحيث اختلف الناس فى هذه المسائل وجب ردها إلى قوله تعالى (فان تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) فقوله تعالى ذلك خير أي الرد إلى الله وإلي الرسول فيما اختلفتم فيه خير لكم فى دار الدنيا لأنه يبعدكم عن التفرق فى الدين الذى هو طريق المشركين وأحسن تأويلا أى أحسن عاقبة يوم القيامة لانه لانجاة إلا بذلك وما دام هذا هو الميزان الذى أرشدنا الله إلى اتباعه ووزن ما تختلف فيه من الاحكام به فلنجر عليه فى جواب هذين السؤالين فنقول وبالله التوفيق .

إن الله عز وجل قد قال فى سورة الاسراء توبيخاً لمن سأله بالانبياء والاولياء والصالحين والملائكة (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) أى قل أيها الرسول للذين يسألوننى بعبادى من الانبياء والاولياء والصالحين والملائكة أو يسألونهم دونى نادوا الذين ظننتم من عبادى أنهم يستطيعون أن

يجلبوا لـكم نفعاً أو يدفعوا عنكم ضراً قبل أن ينزل بكم فيحولوه عنـكم أو يـكشفوه إذا نزل بـكم واطلبوا منهم ما شئتم فإنهم لا يملكون كشف الضر عنـكم إذا نزل بـكم ولا تحويله عنكم إلى غيركم إذا أردت أن أنزله بـكم ولا بد من حمل الآية على ما قلناه وإخراج غير العقـلاء من الاصنام وغيرهـا من هذه الآية وتخصيصها بالمقربين من عباد الله لقوله بعدها « أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محظوراً » أي أولئك المقربون الذين يدعوهم ويناديهم غير المقربين هؤلاء المقربون يطلبون القربة إلى الله تعالى أى التقرب بما شرعه لهم ويرجون رحمته ويخافون عذابه والاصنام وغيرها مما عبد من دون الله تعالى لا شأن لها بعلم الدين ولا بالعمل به لطلب التقرب ولا هى ترجو رحمة ولا تخاف عذابا فتعين كما قلت حمل الآية على المقربين من عباد الله وقد بين الله أن المقربين لا يملـكون لمن سألهم كشف الضر عنه بعد نزوله ولا تحويله عنه قبل نزوله وكما بين الله ذلك هنا بينه فى سورة الجن بقوله يخاطب رسوله « قل أنى لا أملك لـكم ضراً

ولا رشدا» والمفسرون متفقون على أن فى هذه الآية محذوفين وتقديرهما قل انى لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً قل أو كثر ولا رشداً ولا غياً أى ولا هدى ولا ضلالا قل أو كثر كما هو شأن وقوع النكره فى سياق النفي فانها تعم القليل والكثير وقال تعالى فى سورة الفتح «قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً» أى لا أحد من عباد الله يملك لكم شيئاً من النفع فيجلبه لكم أو من الضر فيدفعه عنكم متى أراد الله خلافه فبين أن كل شيء مما يرجوه المخلوق أو يخافه موكول الى ارادة الله عز وجل لا إلى عباده .

اذا عرفت هذا فاعلم أن سؤال أى مخلوق من المخلوقين بعد انتقاله الى الدار الآخرة عدوان على ما أنزله الله وخروج عن آيات كتابه وخال عن الفائدة وضلال بحكم القرآن لان المسؤول من الخلق بعد الموت لا يسمع سائله ولا يجيبه ويتبرأ منه يوم القيامة لانه إما جماد وإما عبد مشغول بما هو فيه من أمور الاخرة كما قال تعالى فى سورة الاحقاف «ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين» قال

البيضاوي فى تفسير الآية المذكورة لا أحد أضل من داع يدعو غير الله مخلوقا لا يستجيب له ذلك المخلوق دعاءه إلى يوم القيامة وهم أى المسؤلون عن دعاء السائلين غافلون لانهم إما جمادات وإما عباد مشغولون بما هم فيه من أحوال الآخرة . أنتهى

فأنت ترى أن كلام المفسر صريح فى حمل الآية على العقلاء والاصنام وغيرها وإذا كان الله قد جهل من سأل الموتى وغيرهم من المخلوقين من أضل الناس بسؤاله هذا فلاشك أن السؤال يكون ضلالا وحراما ممن علم هذه الآية ثم سأل بعد ذلك وأما السنة فمنها عند أصحاب السنن حديث ابن عباس فى منع سؤال غير الله تعالى وهو قوله صلى الله عليه وسلم « إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله وأعلم أن الامة لو أجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو أجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف» صححه الترمذى وحسنه ومنها فى الصحيحين أنه لما نزل عليه وأنذر عشيرتك الاقربين صعد الصفا ونادى بطون قريش فلما اجتمعوا ناداهم بطنا بطنا فقال يابنى كعب بن لؤى أنقذوا أنفسكم من النار فانى لا أغنى

عنكم من الله شيئاً يا بنى مرة بن كعب إلى أن قال يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنقذى نفسك من النار فانى لا أغنى عنك من الله شيئاً يا فاطمة بنت محمد سليني من مالى ما شئت أنقذي نفسك من النار فاني لا أغنى عنك من الله شيئاً . »

ولم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه والذين اتبعوهم باحسان ولا عن أحد من الائمة المجتهدين الاربعة وغيرهم أنه ذهب الى قبر نبي أو ولى أو صالح فسأل الله به أو سأله حاجة . قال صاحب الكنز من مشاهير متون الحنفية فى باب الحظر والإباحة ـ ما نصه (قال أبو حنيفة رحمه الله أكره أن يقول العبد أسألك بأنبيائك ورسلك وبمعاقدالعز من عرشك وبالبيت الحرام وبالمشعر الحرام) وقال مالك رحمه الله (ما رأينا أحداً من الامة يذهب الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله حاجة الا أن عبد الله بن عمر كان اذا قدم من سفر ذهب الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيسلم عليه وعلى أبي بكر وعمر ثم ينصرف) نقله القاضى اسماعيل فى كتابه المبسوط عن مالك رحمه الله بالسند الصحيح اليه . وقال الشافعي رحمه الله (أدركنا أهل

بلدنا يهدمون القبور بمكة فلا أجيز رفع القبر عن الارض ولا تجصيصه ولا البناء عليه) . حجته فى ذلك حديث مسلم عن على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه لهدم القبور والتماثيل فلما بعث عامله ليفعل ذلك قال له ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تترك تمثالا الا طمسته ولا قبراً مشرفاً الا سويته (مشرفاً مرتفعاً عن الارض)

اذا عرفت هذا فاعلم أن سؤال الله بخلقه أو سؤال خلقه حاجة من الحاجات حدث وبدعة من البدع التى لم تكن الا بعد انقراض القرون الثلاثة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم خير القرون كما فى صحيح الترمذى عن عمر رضى الله عنه وكما فى الصحيحين ونسوق لفظ الترمذى لاشتماله على زيادة ليست فى الصحيحين (إن عمر رضى الله تعالى عنه خطب أصحابه بالجابية فقال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً فقال أوصيكم بأصحابى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل وهو لا يستحلف ويشهد الشاهد وهو لا يستشهد فعليكم بالجماعة وإياكم والفرقة ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة من سرته حسنته وأساءته سيئته فذلك المسلم)

وقد ثبت فى الصحيحين أنه لا نجاة إلا للفرقة التى تكون على مثل
ما كان عليه صلي الله عليه وسلم وأصحابه ولم يكن فى عهدهم سؤال
الله بالمخلوق ولا سؤال المخلوق للمخلوق قضاء حاجة فوق ماجرت
عليه الاسباب والسنن الالهية بين الاحياء من سؤال بعضهم بعضا
الدعاء وما فى وسعهم أن يقضوه بعضهم لبعض من السعى فى الخير
ودفع الضرر وغير ذلك من شؤون الدنيا التى امرنا فيها بالسعى
لانها من باب التعاون على البر والتقوى

والموتى لا شأن لهم بذلك وان كانوا أحياء فى قبورهم لأنهم
مشغولون بأحوال الآخرة بعيدون عن الدنيا وأهلها وشؤونهم
كما قال عز وجل (والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً
وهم يخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون) وهذا
الوصف لا ينطبق إلا على العقلاء من الاموات لاعلى الاصنام
لانه لا يقال فى جانبها بعث ولا علم به وقوله غير أحياء أى الحياة
الدنيا المبنية على الهواء والاكل والشرب وارتباط الاسباب بمسبباتها
فيها فلا يمشون بأرجلهم على أرضها ولا يرون بأعينهم ما يجرى
فيها ولا يسمعون بآذانهم ما يكون من كلام أهلها ولا يتناولون

بأيديهم ما يتناوله أهل الدنيا من البطش والقوة كما قال تعالى (إن الذين تدعون من دون الله عباداأمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين) ثم بين الله سبحانه وتعالى على وجه التبكيت أنهم أضعف منا بعد موتهم فقال (ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم اعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها) ثم أمر رسوله أن يعجزهم بطلبهم من الموتى أن يكيدوا رسول الله إن كانت لهم أسرار وقدرة على كيده وهو يذم من سألهم فقال (قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون) أى فلا تمهلونى فى الحاق الكيد بى ممن تدعونهم إن استطعتم (إن ولي الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) ولا يخفي أن الآية حصرت الولاية بالنصر والمعونة فى الله عزوجل فى الدنيا والاخرة

بيان عقيدة المشركين كما بينها القران

لم يكن المشركون يعتقدون فيمن يدعونهم من دون ان أنهم يرزقونهم أو يملكون لهم شيئا أو يحيون أو يميتون أو يدبرون أمراً من الامور او يملكون شيئاً من السموات والارض

أو يجيرون من يستجير بهم بل كانوا يعتقدون أن هذه الشؤون بيد الله وحده كما قال عز وجل حاكياً عنهم عقيدتهم (قُلْ مَن يَرْزُقُكُم من السماء والأرض أمَّن يملك السمعَ والأبصارَ ومن يُخْرِجُ الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يُدَبِّرُ الأمرَ فسيقولون الله فقل أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تُصْرَفُون) أى إذا اعترفوا لك بأن الفاعل لهذا كله هو الله تعالى فقل لهم ألا تتقون الله فلا تشركون معه فى الدعاء غيره وقال تعالى فى بيان عقيدتهم وأنهم لا ينسبون شيئاً من التصرفات لغير الله تعالى (قل لِمَنْ الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تَذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون بل أتيناهم بالحق وانهم لكاذبون ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون علم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون)

فقد ثبت من مجموع هذه الآيات فى السورتين يونس

والمؤمنون أن المشركين لم ينسبوا شيئاً من التصرفات فى السموات والارض لغير الله تعالى ولكنهم اشركوا بتحكمهم على الله فى تعيين من يدعونهم شفعاء مع أن الشفاعة موقوفة على مشيئة الله وإذنه لمن شاء من خلقه ولا يعلم لمن يعطى الاذن من خلقه بعد النبيين والدليل على أن الشرك جاءهم من تعيين من يدعونهم شفعاء قوله تعالى فى سورة يونس (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) والدليل أيضاً على أنهم لم يكونوا يعبدونهم لغير الشفاعة والتقرب اليه تعالي بهم قوله تعالي (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زُلْفَى) أى يقول المشركون إذا سئلوا عن دعائهم لغير الله وعبادتهم إياهم ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى أى ما نعبدهم طمعا فى رزق أو جلب نفع أو دفع ضر فان ذلك كله لله ولكن نعبدهم للتقرب والاستشفاع بهم عنده . وقد بين الله تعالى فى سورة الرحمن أن جميع من فى السموات والارض يسألونه مايحتاجون اليه فلا معنى لسؤال غيره من خلقه لأنهم لا يملكون شيئاً من شؤون الكون فقال (يسأله من فى السموات والارض كل يوم هو فى شأن) أى إذا كانت الملائكة والانبياء

والاولياء والصالحون يخصونه بالسؤال فلا معنى لسؤال غيره

من هذا كله يتبين أن سؤال غير الله من الملائكة والانبياء والاولياء والصالحين خروج على القرآن والسنة وعمل المهتدين من الائمة وعبث لا فائدة منه للسائلين (وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون)

مبحث فى أمور ثلاثة لابد من معرفتها

الاول : الدعاء المذكور فى القرآن فى جانب الله تعالى أو غيره معناه الطلب بالنداء أو بالقلب أو بالعمل يدخل فيه العبادات كلها قولية كانت أو فعلية أو قلبية وليس منه نداء أهل الدنيا بعضهم لبعض فانه ليس على وجه التعظيم ولا على وجه الطلب فيما وراء الاسباب التى رتب الله نظام الكون عليها ولهذا لو كلفت أحداً من أهل الدنيا بما ليس فى وسعه كنت مستهزئا به كصعود السماء وحمل الجبال وشفاء المريض وإكثار الرزق وزيادة الاجل وقضاء الحاجة مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى ولا يفعل ذلك عاقل

لانه عبث والذين يسألون الموتى يطلبون منهم هذه الامور ويقفون خاشعين أمام قبورهم أكثر من خشوعهم وقوفا فى الصلاة ومادام الله ورسوله قد بينا أن أمور الآخرة من السعادة والشقاوة لا يعلمها إلا الله تعالى فلا يصح لمخلوق أن يطلب من مخلوق شيئاً منها (قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلى وما أنا إلا نذير مبين) فقولهم إن النداء ليس عبادة باطل بل هو من العبادات القولية التى بها يضيع التوحيد القولى فان المسلمين مجمعون على أن من قال يا ألله فقد عبده بالذكر فمثله نداء غيره على وجه التعظيم وفى صحيح الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (الدعاء مخ العبادة)

الثانى . إن التقرب إلى الله تعالى بغير ماشرعه مردود على فاعله لا يزيده من الله تعالى إلا بعداً وقد بين الله عز وجل أنه لا يقبل من عبد تقرباً إلا بالايمان والعمل الصالح فقال (وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغُرُفَاتِ آمنون) وفى الحديث القدسي (ما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه

ولا يزال يتقرب الىّ عبدى بالنوافل حتى أحبه) فالعمل الصالح هو الفرائض التى فرضها الله والنوافل التي شرعها كالصلاة والصوم والصدقة وإغاثة الملهوف والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاحسان إلى الفقراء وسنن الصلوات وغير ذلك وشرط كون العمل صالحاً مقبولا عند الله أن يشتمل على ثلاثة أمور الأول أن يكون مأموراً به من اللهورسوله لقوله ﷺ (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو ردّ أى مردود على فاعله لا يقبله الله منه ـ رواه مسلم واصحاب السنن عن عائشة . الثانى ـ أن يخلص العمل لله فلا يشرك معه غيره . الثالث أن يؤديه على الوجه الذى شرعه اللهفهذه شروط ثلاثة لكون العمل صالحا ومنه يعلم أنهمن تقرب لله بشيء لم يشرعه مهما أخلص فيه فهو مردود عليه . الثالث أنه صلي الله عليه وسلم لم يترك شيئا يقربنا الى الله الا بينه لنا فمن زاد فى هذا الدين شيئا على بيـــان الله ورسوله يزعم أنه بدعة حسنة فقد ضل ولذا قال مالك رضى الله عنه كما نقله عنه الشاطبي فى الاعتصام (من زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم ترك شيئا مما يقرب الى الله لم يبينه فقد اتهمه بأنه خان الرسالة) . فالذى يريد

أن ينجو بين يدى الله يوم القيامة ويخرج بدينه سالما على الهدى فليقف عند ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وليتبع ولا يبتدع (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم)

الباب الثانى

فى شبه قد تمسك بها طائفة من الجاهلين وتبعهم فيها كثير من علماء المسلمين وزعموا أنها تجيز ما منعنا فى الباب الاول ونحن نبينها هنا ونردها بما لا يدفع :

الشبهة الاولى

قالوا . قال الله تعالى (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى) وحملوا القربى على أقارب النبي ﷺ ولا سيما أهل بيته وأن من مودتهم زيارتهم بعد موتهم والاستشفاع بهم وفعل ما يفعلونه عند قبورهم وتزيينها وكسوتها إلى غير ذلك مما لاتتم المودة إلا به وقالوا . إذا لم يتوسل بهؤلاء إلى الله وهم أطهر الناس وأفضل الأمة نظراً لقرابتهم من النبي صلى الله عليه وسلم

فبمن يكون التوسل . وزادوا أنهم لا يمكنهم التوسل الى الله تعالى الا بتوسيط هؤلاء بينه وبين المتوسلين لأن المتوسلين ملوثون بالذنوب والمعاصى فلا يمكنهم الطلب من الله بغير واسطة هـذا محصل دعواهم ودليلهم ولا شك أن هذه الدعوى لاتتم لهم الا اذا كان الخطاب المذكور فى الاية لعموم الامة وكان معنى الاية أنه صلى الله عليه وسلم أمر أن يبلغ الامة انه لايسألها أجراً على تبليغ رسالته الاأن يودوا قرابته أحياء وأمواتا : ونحن نقول ان فى الايه أقوالا أولها وهو أصحها أن الخطاب لخصوص قريش وللكفار منهم على الاخص الذين كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى حاصروه فى شعب أبى طالب ثلاث سنين ومنعوا عنه وأصحابه الزاد والماء وكل مساعدة وأن المراد بالقربى هى صلة القرابة التى بينه وبينهم وأن المعنى فى الاية أن الله امره أن يبلغ كفار قومه أنه لا يسألهم على تبليغ الدين أجراً لكنه يسألهم ان يراعوا ما بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم واصحابة من القرابة وأن يودوهم بدل أن يعادوهم ويؤذوهم وهذا القول هو الذى ارتضاه البخارى فى صحيحه وساق حديث ابن عباس يفسر به

الآية علي ماقدمناه ويدل على هذا الذى بيناه أن أصحاب المشاهد التى يزورها الجاهلون اليوم لم يكونوا موجودين عند نزول الآية ولا بعدها بسنين وانما ولد لعلى بعد الهجرة أولاده وبناته ولا نزاع بين أهل الحديث والتفسير أن سورة الشورى نزلت فى أوائل ما نزل من السور قبل الهجرة بزمن طويل وحمل القرابة على العموم يرده حديث ابن عباس المشار اليه فانه حمل الخطاب على الاقربين من الكفار الذين كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ولفظه (عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش الا كان له فيهم قرابة فقال الا أن تصلوا ما بينى وبينكم من القرابة)

القول الثانى: ان الخطاب لعموم الامة وأن الآية تدل على أنه يجب علي كل انسان أن يصل قرابته ورحمه. والمعنى لاأسألكم علي تبليغ الرسالة أجراً لكن أسألكم أن تصلوا أرحامكم وأن تودوا أقاربكم وهذا القول أقوى الاقوال فى الآية لولا حديث ابن عباس ويؤيده قوله تعالى فى الآية بعدها (ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً ان الله غفور شكور) أى وأى نفس تقترف

حسنة يضاعف لها أجرها والاقتراف الكسب وهو يدل على العموم لا علي خصوص قرابته صلى الله عليه وسلم

القول الثالث : إن هذه الآية كانت فى أول الاسلام ثم نسخت بقوله تعالي فى سورة ص (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) أي لا أسألكم أجراً أبدا لا مودة قرابتى ولا غيرها والخطاب على هذا لعموم الامة أيضاً وهذاهواللائق بمقام المخلصين فى الدعوة إلى الله فضلا عن الرسل . فكيف وقد حكي الله عن جميع رسله أنهم لا يسألون العباد على رسالة ربهم أجرا وإنما يسألون الله تعالى كما حكي عن نوح (وياقوم لا أسألكم عليه مالا إن أجرى إلا على الله) وعن هود (ويا قوم لا أسألكم عليه أجرا ان أجرى إلا على الذى فطرنى أفلا تعقلون) وكما فى سورة يس (وجاء من أقصي المدينة رجل يسعي قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون) وإذا كان هذا ثابتا فيمن دونه منزلة من الرسل فكيف يجوز لمسلم أن يزعم أنه صلي الله عليه وسلم يطلب أجرا على تبليغ الرسالة . سبحانك هذا بهتان عظيم .

القول الرابع . ما سلكه كثير من أهل التفسير وهو أن المراد

به على وفاطمة وأولادهما وهذا القول مع مخالفته لنزول الآية وحديث ابن عباس فى تفسيره لها لا يستند الى شيء صحيح من السنة هذا خلاصة ما ذكره الحافظ فى الفتح فى تفسير الآية المذكورة ومن هذا يتبين أنه لا متمسك فى الآية لأحد من الجاهلين الذين يدعون أن قبور أهل البيت ممتازة على غيرها من القبور وسيأتى الكلام على أحكام القبور مفصلا فى الباب الثالث إن شاء الله تعالى .

﴿ الشبهة الثانية ﴾

ما أخرجه الحاكم وابن حبان وصاحب الدر المنثور فى تفسير قوله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات) الآية . عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لما أذنب آدم الذنب الذى أذنبه بالاكل من الشجرة نظر فرأى مكتوبا على باب الجنة لا إله إلا الله محمد رسول الله . فقال اللهم إنى أتوسل اليك بمحمد وآل محمد إلا ما غفرت لي خطيئتي فقال الله عز وجل يا آدم من أين علمت بمحمد حتى تسألنى به . فقال

نظرت فرأيت مكتوبا على باب الجنة فعلمت أنك لم تقرن اسمك إلا بأحب الاسماء اليك فقال قد غفرت لك) وهذا الحديث مع خلو الكتب السبعة منه قد صححه الحاكم على عادته فى عدم المبالات فى تصحيح الموضوعات . قال الحافظ بن حجر فى تهذيب التهذيب فى الكلام على عبد الرحمن بن زيد بن أسلم . سأل رجل مالكا بحضرة الشافعى عن عبد الرحمن ابن زيد وهو مدار طريق هذا الحديث يعنى لم يرو من غير طريقه فقال مالك اذا أشكل عليكم اسناد حديث فائتوا به عبد الرحمن بن زيد فانه يحدثكم به عن أبيه عن جده عن نوح عليه الصلاة والسلام وهذا أبلغ ما يقال فى تكذيب الانسان . وقال مالك رحمه الله أيضاً انه يروى الاحاديث المناكير فقد روى أن سفينه نوح طافت بالبيت وصلت ركعتين . وكما كذبه مالك بأبلغ تكذيب كذبه الشافعي وأحمد بن حنبل وعامة أئمة الحديث حتي قال الحافظ عبد الحق فى الكلام على رواة الحديث لا نعرف أحداً من أهل العلم يحتج بحديث عبد الرحمن بن زيد بن اسلم . وقال الحافظ الذهبى فى تعليقه على الحاكم صحيفة ٦١٥ جزء ثانى سطر سبعة الي تسعة قوله صحيح

قلت به هو موضوع فيه عبد الرحمن بن زيد بن اسلم يرويه عن مجهول وقد أطال الحافظ فى تهذيب التهذيب فى توهين عبدالرحمن ابن زيد توهينا شديدا بما نقله عن أئمة الحديث من الطعن عليه وهذا أخف ما نقلناه عنه فمن أراد الزيادة فليراجعه . ولما صفع الحافظ الذهبي أحد هيئة كبار العلماء الذى كتب فى الوسيلة فى مجلة نور الاسلام اضطر أن يقول ان الحافظ الذهبي دسيسة على الحاكم دسها الوهابيون عليه . مع أن الحاكم مطبوع فى الهند لم يطبع سوى طبعتها .

الشبهة الثالثة

وهي أقوي الشبه ما أخرجه الترمذى عن عثمان بن حنيف رضى الله عنه وحسنه أنه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد كف بصره فقال له ﷺ إن شئت احتسبت عند الله وإن شئت دعوت لك فرد الله بصرك فقال عثمان رضي الله عنه أحب أن يرد على بصرى يارسول الله. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (قم فتوضأ وصل ركعتين ثم قل اللهم إنى أتوسل إليك بنبيك نبي الرحمة أن ترد

على بصرى ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضأ وصلى ركعتين ثم دعا له فرد الله عليه بصره) انتهى ما رواه الترمذى وأما الزيادة التى بعد ذلك المنسوبة إلى عثمان بن حنيف أنه علم رجلا آخر فى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه فان عثمان رضى الله عنه كان لا يسمع له شكواه ولا يقضى له حاجته فلما فعل ما علمه عثمان بن حنيف قضى له عثمان بن عفان حاجته هذه الزيادة كلها مكذوبة يكذبها من أساسها أن عثمان بن عفان رضى الله عنه لو فعل ذلك مع أحد من الناس لكان ظالماً وقد خلت منها كتب السنة كلها . وأما الجواب عما رواه الترمذي فمن وجوه

الاول : أنه لا نزاع فى جواز التوسل به صلى الله عليه وسلم حال حياته فانه كان يدعو لمن سأله كما أن هذا جائز بغيره من الاولياء والصالحين حال حياتهم باجماع المسلمين . بل سأل النبي صلى الله عليه وسلم عمرَ أن يدعو له وهو ذاهب ليعتمر فقال له (لا تنسنا يا أخي من دعائك) وقد أمرنا الله عز وجل أن ندعو للنبي صلى الله عليه وسلم فى صلواتنا وغيرها بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) كما أوصانا صلى الله عليه

وسلم أن نكثر من الصلاة عليه وهو دعاء له بالرحمة والسلامة فقول القائل اللهم صل على محمد معناه اللهم ارحمه وارفع درجاته وسلمه .

الوجه الثانى : فى الجواب على حديث الترمذى. إجماع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والذين اتبعوهم باحسان على ترك التوسل به بعد انتقاله إلي الدار الآخرة إجماعا عملياً قاطعاً فلم ينقل عن أحد من أصحابه ولا من الذين اتبعوهم باحسان أنه توسل به بعد موته أو ذهب إلى قبره لذلك بل الثابت كما فى صحيح البخارى خلافه وقد روى فى الاستسقاء عن عمر رضى الله عنه أنه خرج بالناس يستسقى حين حبس عنهم المطر فقال اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا أدع ياعباس فدعا فسقوا .فلو كان التوسل به أو بغيره بعد موته جائزاً ما تركه عمر ولا أصحابه فى أشد الاوقات إليه فتركهم التوسل به صلى الله عليه وسلم وعدولهم الي الاحياء ـ وهم أحرص الناس على الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ـ من أقطع الدلائل على عدم الجواز بالتوسل بالموتى .

الوجه الثالث: ان الحديث المذكور لم يسلم من طعن الحفاظ عليه ولهذا قال كثير من شراح الكتاب كالعراقى ان الترمذي لا يعول على تصحيحه فضلا عن تحسينه لانه صحح الضعيف جداً كحديث (مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم) وهذا عند أهل الحديث مسلم به وهو مع ذلك معارض بالاجماع الذى قد مناه وبحديث البخارى فى الاستسقاء. هذ افوق أن الترمذى لم يرتق فيه عن درجة الحسن على أنه فى غير محل النزاع فان النزاع انما هو فى الوسيلة بالموتى والحديث فى التوسل به صلى الله عليه وسلم فى حياته كما ساف وهذا مجمع عليه من الامة بل ومجمع على ان الوسيلة جائزة بغيره من الاحياء أهل التقوى.

﴿الشبهة الرابعة﴾

حديث الترمذى أيضاً عن ابن عباس عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه ضرب خيمة على قبر فسمع رجلا يقرأ فيه سورة الملك فلما أصبح حدث النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال هى المنجية هى المخاصة من عذاب الله. وايراد هذا

الحديث فى الاستدلال على الوسيلة بالموتى ممن أوردوه ضرب من الخلط فان التوسل بالقران وغيره من صفات الله مجمع على جوازه كما سيأتى بيانه فى آخر هذا الباب . ومع هذا فهذا الحديث مكذوب قال الترمذى بعد روايته غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه وأشار بهذا إلى ما طعن به عليه الحفاظ فان فى طريقه يحى بن عمرو بن مالك النكرى البصرى قال حماد بن زيد كذاب يختلق الموضوعات وينسبها إلى الثقات ولولا هذا الرجل فى إسناد الحديث لكان من أصح الاحاديت فان بقية رجال إسناده رجال الصحيح وكما كذبه حماد كذبه يحى بن معين وأحمد بن حنبل وغيرهم قاله الحافظ فى تهذيب التهذيب فى الكلام على يحيى بن عمرو المذكور .

الشبهة الخامسة

ماروواه ابن ماجه . أنه صلى الله عليه وسلم قال (اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا) الحديث . وهذا الحديث مع كونه فى غاية الضعف فانه لو صح لم يفد المستدلين

على جواز التوسل بالموتى شيئاً فان حق السائلين المذكور هو ما تفضل الله تعالى به على من دعاه بالاجابة لدعائه المشار اليه بقوله (وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعانى) وقوله (ادعونى أستجب لكم) على أحد التفسيرين وهو تفسير الدعاء فى الآية بالطلب من الله وهو توسل بفضل الله وهو صفة من صفاته ولا نزاع فيه فأين هذا من الوسيلة بالمخلوق والميت المتنازع فيه .

الشبهة السادسة

حديث (حياتى خير لكم ومماتى خير لكم تحدثون ويحدث لكم تعرض على أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله وإن يك سوى ذلك استغفرت لكم) وهذا الحديث وإن اشتهر على ألسنة كبار الناس وصغارهم فقد خلت منه جميع كتب السنة حتى الحاكم الذى يروى ما هب ودب . ومع هذا فالذى رواه وقفه على بكر بن عبدالله المزني وهو تابعى مشهور ومع ذلك لم يذكر فيه الصحابى أحد من رواة السنة لا فى صحيح الكتب ولا فى ضعيفها وهو منقطع لا يصلح للاحتجاج به وإنما يأخذه حضرات أهل الدين من دواوين الخطب ذلك مبلغهم من العلم . هذا مع أن البخارى ومسلم قد خرجا حديثاً يرده ويبين أنه ﷺ لا يعلم عن أمته شيئاً بعد انتقاله الى الدار الآخرة

وقد أورده البخارى فى مواضع من صحيحه ووصلت طرقه عند أهل الحديث الى خمسة عشر صحابياً وهو حديث متواتر فى قوة القرآن ولفظه فى كتاب البخارى فى كتاب الرقاق (بينما أنا أسقى الناس على حوضى يؤتى بأناس من أمتى يريدون أن يشربوا فيحال بينى وبينهم ويؤخذ بهم الى جهة النار فأقول أصحابى اصحابى فيقال إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك ارتدوا على أدبارهم بعد ما فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح - يعنى عيسى عليه الصلاة والسلام - وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم الى العزيز الحكيم) وفى بعض الالفاظ تغيير من الرواة وزيادة ونقص . قوله إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك يدل على أنه لا يدرى عن أمته شيئاً بعد موته لانه إذا جهل حال اصحابه الذين عرفوه وعرفهم فغيرهم من باب أولى . أما بقية ما أوردوه من الآثار والمنامات وتمسكوا به فنحن فى غنى عن الرد عليه فان هذا لا يبنى عليه شرع مع أن أسانيدها كلها أوهى من بيت العنكبوت كما يعرف ذلك من له إلمام بأسانيد السنة

﴿ مبحث فى الوسيلة وبيان المراد منها فى القرآن والسنة ﴾

إعلم أن الوسيلة فى لغة العرب كل شيء وصلك الى المقصود سواء كان مما يتقرب به الى الله أم لا . فالسفينة مثلا التى تعبر عليها

البحر من شاطيء الى آخر وسيلة . والسلم الذى يوصلك الى السطح وسيلة كذلك. وهكذا وتوصل الى كذا وتوسل اليه بكذا بمعنى واحد قال لبيد ألا كل ذى لب الى الله واسل . أى واصل. وقبل أن نبين معناها فى الشرع نبين أن التوحيد نوعان لا يتم إيمان العبد إلا بهما

(توحيد الالهية وتوحيد الربوبية وبيان معناهما)

أحدهما توحيد الالهية: وهو حصر التعظيم بجميع أنواعه فى ذات الله تعالى يتحقق ذلك بصرف العبادات سواء كانت قولية أو عملية أو قلبية إلي ذات الله تعالى وحده وينبنى على هذا الأصل أن من حلف بغيره تعالى مثلاً أو ذبح لغيره أو عظم بقلبه غير الله فقد ضيع توحيد الالهية لانه صرف أنواعاً من العبادات الخاصة بالله تعالي لغيره ومن ذلك نداء غير الله على جهة التعظيم والاستعانة والاستغاثة أو طلب منفعة أو دفع ضر فكل ذلك مخل بتوحيد الآلهية وإن كان فاعل شيء من ذلك معتقداً أن الخالق لكل شيء هو الله فان ذلك الاعتقاد لا يفيده مادام يصرف شيئاً من العبادات لغير الله تعالي ولا يخرجه عن الشرك .

الثانى توحيد الربوبية. وهو حصر جميع الآثار والأفعال فى ذات الله تعالى وأنه هو صاحبها خلقاً وإيجاداً كالخلق والرزق والاحياء والاماتة

وشفاء المريض وتيسير الرزق أو إقتاره إلى غير ذلك من جميع شؤون السكون . وليعلم هنا أن العرب كان عندهم هذا النوع من التوحيد كما حكى الله تعالي عنهم أنه كانوا إذا سئلوا عن خالق السموات والارض أو عن الرازق أو المحيي أو المميت أجابوا بأن صاحب ذلك كله هو الله كما تقدم بيان ذلك مفصلا فى الباب الاول . ولكن الذى جعلهم مشركين هو فقدهم للنوع الاول من التوحيد لأنهم كانوا يذبحون لغير الله تعالى وينذرون لغيره تعالى ويلتمسون جلب النفع ودفع الضر من غيره تعالى وينادون ويستغيثون بغيره ويتقربون بما يستطيعون من الاموال وهذه الامور كلها عبادات مشروعة من خصائص الله تعالى وقد قال تعالى (إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم) وقال يخاطب رسوله صلى الله عليه وسلم، والمراد غيره (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذاً من الظالمين وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) سورة يونس. وهذ الاصل وهو معرفة النوعين من التوحيد ينفع المؤمن إذا تدبره ويتبين منه أن الايمان قد يوجد مع الشرك فقد يكون العبد معتقداً أنه لا خالق لكل شيء إلا الله.

ا لى فيكون من تلك الجهة مؤمناً إيماناً صحيحاً . ثم يتقرب إلى غيره بشيء من العبادات التى اختص بها تعالى كالدعاء والنذر والذبح والتماس النفع ودفع الضرر من ذلك الغير فيكون بهذا مشركاً من حيث لا يشعر . وقد كان هذا حال المشركين فى عصر التنزيل فكانوا يؤمنون بالله تعالى مع الاشراك به كما قال (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) وقد روى النسائى عن حذيفة رضى الله عنه أنه رأى رجلاً يعلق على صدره شيئاً من خوص النخل فقال له ما حملك على هذا فقال أستشفى به فقطعه حذيفة ثم قال لا شفاك الله ثم تلا قوله تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) . وأخرج بن جرير وأصحاب السنن الاربعة أن رجلا من اليهود جاء إلى أصحاب النبي ﷺ فقال ان ما تقولونه حق لولا أنكم تقولون ماشاء الله وشاء محمد . فأنزل الله تعالى (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) فقال رسول الله ﷺ (لا تقولوا شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ماشاء الله ثم شاء محمد) . روى أصحاب السنن أن أصحاب النبي ﷺ مروا بشجرة قد علق بها المشركون شيئاً من الخرق والمسامير فقالوا يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط أى اجعل لنا شجرة نتقرب بها إلي الله كالمشركين ـ

والأنواط هى التعاليق ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أتقولون كما قال قوم موسى اجعل لنا الهاً كما لهم آلهة).

فاذا تدبر المسلم هذا عرف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يمتنعون عما يشم منه رائحة التقرب الى غير الله تعالى ولو كان منسوباً الى النبي صلى الله عليه وسلم كما فى حديث المشيئة السابق

بعد بيان هذا الاصل العظيم ننقل هنا كلام المفسرين من السلف عن لفظة الوسيلة فقد روى ابن جرير بخمسة أسانيد الى قتادة وأبى وائل شقيق ابن سلمة فى تفسير سورة المائدة أن المراد بالوسيلة فى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة) إنما هو الايمان والعمل الصالح وهو تفسير ابن عباس فى هذه الآية قال ابن جرير فى تفسير الاية (يا أيها الذين آمنوا) صدّقوا الله ورسوله فيما أمرهم به ونهاهم عنه وأخبرهم به من الوعد والوعيد (اتقوا الله) أى اجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية بفعل الطاعات واجتناب المعاصى (وابتغوا اليه الوسيلة) العبادة المشروعه سواء كانت واجبة أو مندوبة فعلية كانت أو تركية كفعل الواجبات والمندوبات وترك المكروهات والمحرمات . اهـ . ولا بد لتكميل هذا التفسير من بيان وهو أن العمل لا يكون صالحاً حتى يستكمل ثلاثة شروط. الاول أن يكون

مأموراً به من الله تعالى فلو عمل الانسان عملا غير مأمور به وقصد التقرب إلى الله تعالى فهو غير مقبول منه ودليل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (مَنْ عَمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌ) وقد سبقت الاشارة إلى هذا الأصل وتقدم الكلام على أن العمل لا بد أن يكون مأموراً به ومخلصاً فيه صاحبه مؤدياً له على الوجه المشروع. وهذا الاصل يبين أن ما يعمله أكثر الناس من العبادات التي اختص الله تعالى بها نفسه ولم يأذن أن تكون لغيره عمل غير مشروع وقد نهى الله تعالى رسوله والمؤمنين أن ينادوا غيره في القرآن كقوله تعالى (فلا تدعو مع الله أحداً)(ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك) والدعاء يشمل العبادة بجميع أنواعها ومنها النداء على وجه الاستعانة والاستغاثة بالمنادي ومخالف لقوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) فان هذا عهد قطعه العبد على نفسة ألا يعبد غير الله وألا يستعين إلا به فاذا نادي غيره أو استعان بغيره فقد نقض العهد. وقال تعالى (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فاما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الانسان كفوراً)وقال تعالى (فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون):

(طائفة من توسل الانبياء عليهم الصلاة والسلام)

وهنا نبين طائفة من توسل الانبياء عليهم الصلاة والسلام: فمنه

ماحكى الله تعالى عن يونس وهو فى بطن الحوت فقال(وذاالنون إذ ذهب مغاضباًفظن أن لن نقدر عليه فنادي فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين) أى واذكر صاحب الحوت إذ ذهب مغاضباً قومه لعدم إيمانهم به فظن أن لن نضيق عليه وركب سفينة فخرجت القرعة عليه ليذبحوه ويأكلوه فرمى بنفسه إلي البحر فالتقمه الحوت فلما أصابه هذا الكرب (نادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين) فتوسل بالتوحيد وقال حكاية عن آدم لما أكل من الشجرة هو وزوجه (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وهذه هى الكلمات المرادة من قوله (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم) فتوسلا بالاقرار بالذنب وطلب المغفرة وقال حكاية عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين ترك زوجه وولده اسماعيل (ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع الى قوله ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) توسل بالدعاء والايمان والعمل الصالح

(التوسل من السنة)

وفى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يتوسل فيقول (ياحى يا قيوم برحمتك أستغيث) وفى الحديث (دعاء أخى يونس مادعى

به مكروب إلا فرج الله كربه) وقد تقدم وفى الحديث (اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) وفى الحديث (اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحينى ما علمت الحياة خيرا لى وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرا لى وأسألك خشيتك فى الغيب والشهادة وكلمة الحق فى الغضب والرضا والقصد فى الفقر والغنى ولذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك وأعوذ بك من ضراء مضرة وفتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين) والكتاب والسنة مملوءان بتوسل الانبياء بالله تعالى وصفاته والايمان والعمل الصالح لم يتعدوا ذلك وقد قصه الله علينا لنقتدى بهم. ومن أنفع الوسائل وأحب الطاعة الى الله صلاة النفل والصدقة والصوم والاكثار من الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وقراءة القرآن والذكر والتسبيح وغير ذلك من العبادات التى شرعها الله تعالى وما أحسن قول يعقوب عليه الصلاة والسلام (إنما أشكو بثى وحزنى الى الله وأعلم من الله مالا تعلمون) ومادامت الوسيلة قد انحصرت فى العبادة المشروعة فلابد لمن يجيز التوسل بالمخلوق أن يأتى بدليل من الكتاب والسنة يدل على جوازه لأن العبادات لا تشرع بالعقل والاستحسان وقد أنصف الألوسى فى تفسيره سورة المائدة فى الكلام على الوسيلة وحكى فيها الحق

وأنه لا يجوز التوسل بمخلوق من المخلوقين وصرح بأن حديث (توسلوا بجاهى فان جاهى عند الله عظيم) وحديث (إذا أعيتكم الامور فعليكم بأهل القبور) باطلان وهما كما قال فانهما من اختراع العامة ولهذا خلت منهما جميع كتب السنة. إلا أنه توقف فى جواز الوسيلة به صلى الله عليه وسلم تابعاً فى ذلك للعز بن عبد السلام من أئمة الشافعية نظراً لحديث الترمذى عن عثمان بن حنيف وقد تقدم الكلام عليه مستوفيا فلا معنى لهذا التوقف ولا سيما بعد تصريح امامه أبى حنيفة رحمه الله بعدم جواز ذلك كما مر. والى هنا ننتقل من هذا الباب الي الباب الثالث فى أحكام القبور.

الباب الثالث فى أحكام القبور

والقبور هى الاضرحة لا يختص ذلك بمؤمن ولا بكافر قالت ام عبد الله بن عباس وهي ترقصه

ثَكِلتُ نفسى وثكلتُ بكرى * انْ لمْ يسُدْ فهرا وغيرفهر
بالحسَب العدّ وبذل الوفر * حتى يوارى فى ضريح القبر

والحسب ما يلحق الانسان من المدح بسبب عمله والعدّ الرفيع الذى لا ينال الا بعد جهد والوفر المال الكثير ومن هذا يعلم أن الضريح لا يختص بالمؤمن خلافا لما يتوهمه بعض الناس من اختصاص لفظ الضريح بالولى.

﴿عبادة القبور منشأ شرك العالم﴾

أخرج المفسرون وأهل الحديث عن عبد بن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى (وقالوا لاتذرنّ آلهتكمْ ولا تذرن وَداً ولاسواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) قال رضي الله عنه كانوا خمسة رجال صالحين في قوم نوح فلما ماتوا صنعوا لهم تماثيل وصوروا فيها صورهم يتذكرون بها أعمالهم الصالحة فلما طال عليهم الامد عبدوهم من دون الله واتخذوهم وسائل اليه فكان هذا مبدأ شرك العالم وقال كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الهدى فلما كان قوم نوح اشتهر فيهم خمسة رجال صالحين وهم الذين ذكرهم الله بقوله (ولا تذرن ودا ولاسواعا الي نسرا) هذا وتنقسم أحكام القبور الى قسمين شرعية وبدعية فأما الاولى فهى ما شرعه الله وبينها رسوله وهى (١) النهى عن استقبال القبور بالصلاة والدعاء ولعن من فعل ذلك. أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال في مرضه الذى مات فيه (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) قالت عائشة رضي الله عنها يحذر مافعلوا. أي يحذر أمته أن تفعل مثل فعلهم. وروى أصحاب السنن الاربعة عن ابى هريرة فوق الحديث المتقدم زيادة (وصالحيهم

أولئك اذ كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصورة ـ أي صورة الميت ـ أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة) وهذا الحديث صريح فى عدم جواز استقبال أي قبر مهما كان صاحبه بالصلاة والدعاء سواء دعا الله وحده أو صاحب القبر أو دعاهما كما يدل على عدم جواز بناء المسجد على القبر وقد ورد هذا صريحا فى حديث أصحاب السنن أنه صلى الله عليه وسلم قال (لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والموقدين عليها السرج) ويدل على لعن من فعل ذلك

من هذا يتبين أن المساجد التي أنشئت على القبور أو لأجلها لا تجوز الصلاة فيها لانه منهى عنها والأصل فى النهى التحريم وقد اتفقت الأمة على ذلك واختلفت فى الصلاة على المقابر التي لا مساجد فيها فقيل بكراهة ذلك وقيل بحرمته . ويدل على عدم جواز اتخاذ المساجد على القبور مع هذه الاحاديث قوله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا) . ولا تكون المساجد خالصة لله إلا إذا كانت لم تنشأ لاجل صاحب القبر ويفهم من الحديث أنه إذا أنشىء المسجد لله ثم دفن فيه ميت بعد ذلك لا يدخل فى النهى لكن قال الحافظ بن حجر فى شرح الفتح لحديث ذى الخلصة من صحيح

البخارى فى الكلام على الغزوات ما نصه « وفى الحديث النهى عن الصلاة فى المساجد التى فيها قبور يفتتن الناس بها وأنه يجب إزالتها » انتهى وإذا لم يقدر الانسان على إزالة المنكرات التى تقع فى المساجد المشتملة على القبور التى يفتتن الناس بها وجب عليه اجتناب الصلاة فيها ودخولها للامر باجتناب مواطن المعاصى والنهى عن دخولها كما فى حديث الصحيحين (أنه صلى الله عليه وسلم لما مرّ بدار ثمود أسرع السير وستر وجهه وبكى وقال لاصحابه لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا وأنتم باكون أن يصيبكم ما أصابهم) قوله أن يصيبكم إلى آخره تقديره مخافة أن يصيبكم ما أصابهم وهو تعليل للنهى السابق . (٢) عدم جواز رفع القبور عن الارض وأنها تهدم ان فعل بها ذلك وتسوى بالارض . ودليل ذلك اتفاق الامة عليه وحديث مسلم عن على فى بعثه أبا الهيّاج الاسدى وقد تقدم فى الباب الاول وتقدم قول الشافعي أنهم كانوا يهدمون القبور بمكة وفى الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم منع اصحابه من زيارة القبور أولا قبل أن يرسخ التوحيد فى نفوسهم لان الفتنة كانت بها شديدة فى أول الامر فلما رسخ التوحيد فى نفوس الناس قال صلى الله عليه وسلم لهم (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فانها تذكركم

الآخرة والموت) ونفصل الكلام فى ذلك فنقول وبالله التوفيق

الكلام فى زيارة القبور وبيان الجائز منها والممتنع

الزيارة نوعان . نوع أمر الشارع به وهو(١) أن يذهب الانسان إلى المقابر فيتذكر الموت والآخرة ويدعو لأصحابها بالسلامة والعافية والمغفرة والرحمة وقد علّم النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه كيفيتها بالقول والعمل ففى الصحيحين وغيرهما انه كان يزور القبور ويقول عندها (السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية اللهم اغفر لنا ولهم وارحمنا وارحمهم) وهذا كله ان كانت الزيارة لمقابر المؤمنين فان كانت لمقابر غيرهم لم يجز للزائر أن يدعو بالاستغفار والرحمة لأصحابها كما ثبت فى صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم ذهب الى قبر أمه فبكي وأبكي من حوله ثم قال (استأذنت ربى أن أزور قبر أمى فأذن لى واستأذنته أن أستغفر لها فلم يأذن لي ثم تلا ما كان للنبي والذين آمنو أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى. الآية) وكما فى صحيح البخاري أنه لما مات أبو طالب قال صلى الله عليه وسلم (لاستغفرن لك مالم أنْهَ عنه)فأنزل الله الاية السابقة. وزيارة قبر أمه وإن كانت بعد الاية بسنين لكن لعله إستأذن

ظناً منه أن الله تعالى يجيبه الى ذلك فى أمه: قال النووى فى شرح المهذب فى كتاب الجنائز أن حديث مسلم فى زياره قبر أمه ثبت فى نسخة الجلودي ولم يثبت فى نسحة عبدالغافر الفارسى ينبه بذلك على أن خلو بعض النسخ منه لا يقدح فى صحته (٢) ومن الاحكام المشروعة أنه لا يجوز للنساء أن يزرن القبور وقد أطلق القول بذلك كثير من العلماء والحق التفصيل. وهو أنه اذا كانت زيارتهن قليلة وخلت من المنكرات جازت الزيارة لهن والا حرمت لما أخرج الحاكم وصححه على شرط الشيخين وان لم يصب فى ذلك التصحيح على الشرط المذكور أنه صلى الله عليه وسلم قال (لعن الله زوارات القبور) قوله زوارات يفهم منه أنه اذا قلت الزيارة جازت (٣) النوع الثانى من الزيارة الزيارة المحرمة وهي التى تشتمل على ما نهى الله عنه كالولوة والتسخط للقضاء والقدر والمبيت بالمقابر أو سؤال أصحابها أو الصلاة عندها أو استقبالها بالدعاء الى غير ذلك . فهذا النوع من الزيارة محرم باتفاق جميع العلماء : (٤) عدم جواز وضع الانوار عليها وقد اتفق العلماء على تحريم وبطلان الاوقاف التى توقف عليه ودليل ذلك قوله فى الحديث. والموقدين عليها السرج فان الله لا يلعن عباده على عمل يتقربون به إليه فلما ثبت فى الحديث لعن من ينير القبور دل على أنه عمل غير مشروع وأنه منهى عنه وأن فاعله

ملعون ولم يفرق فى الحديث بين قبر صالح وغيره ولا قبر نبي وغيره ومن هذا الاصل العظيم يتبين أن ماعليه الناس اليوم فى زيارة القبور من وضع الأنوار عليها مخالف لشرع الله ودينه وإن تسابق إليه العلماء.

(الحكم الخامس) ما يفعل عند القبور من تعظيمها بالطواف والتمسح والخشوع والزينة والنذر والذبح لها إلي غير ذلك مما يفعله الجهال يزعمون أنهم يتقربون بفعل ذلك إلى الله تعالى . كل هذه الامور منهى عنها لأن الذبح والنذر والطواف والتمسح عبادات شرعها الله تعالي ليعبد بها دون سواه ولعن من فعلها لغيره: وفى حديث الصحيحين عن على رضى الله عنه قال (ماترك لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً اختصنابه من دون الناس) ثم أخرج صحيفة كتب فيها عن رسول صلي الله عليه وسلم أحاديث فقرأ منها أنه صلى الله عليه وسلم قال (لعن الله من لعن والديه ولعن الله من ذبح لغير الله ولعن الله من غير منار الارض ـ أى العلامات التي يهتدى بها الناس إلى السير فى الطريق ولعن الله من آوى محدثاً) أى مفسداً فى الارض: واتفق المسلمون على أن الذبيحة لغير الله لايجوز أكلها وكذا ما أهدى إلى قبر من نقود أو خبز أو غيره لان الله تعالي حكي ان المشركين كانوا يفعلون ذلك فى سورة الانعام فقال (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام

نصيبا ـ أي ولشركائهم نصيبا بدليل قوله بعد ذلك ـ فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا) والحرث الزرع أي ان المشركين كانوا يجعلون من زروعهم ومواشيهم جزء لله بالنذر وجزء لشركائهم به فنددالله عليهم بذلك وختم الآية بقوله (ساء مايحكمون) واما الطواف فما شرعه الله الا بالبيت واما التمسح والتقبيل فشرعه بخصوص اركان الكعبة والحجر الاسود في صحيح البخاري عن عمر رضى الله عنه انه لما استلم الحجر الاسود وهو يحج قبله وقال (أني اعلم انك حجر لاتضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ماقبلتك) وصح عن عمر انه قطع الشجرة التي وقعت تحتها بيعة الرضوان التي ذكرها الله في سورة الفتح لما رأي الناس يذهبون اليها وأخفي موضعها وقال أرجوع الى الى الجاهلية الاولى. وبالجملة فلا يجوز فعل شيء عند القبور الا ما علمه النبي ﷺ لاصحابه من الدعاء وقد تقدم بيانه وأجمع المسلمون على انه لايجوز النذر الا لله وحده وان من نذر لغيره يكون عاصيا بنذره قال شيخ الاسلام زكريا في شرح الروض من ذبح ولو الى رسول الله ﷺ فقد كفر لان الله تعالي يقول (وما أهل لغير الله به) اى وحرم عليكم ماذبح لغير الله وسماه الله فسقا ونذكر بهذه المناسبة الكلام علي سماع

الموتى في قبورهم واحقاق الحق فيه .

مبحث سماع الموتى واختلاف العلماء فيه

اختلف اصحاب رسول الله ﷺ ومن بعدهم الى اليوم في سماع الموتى فذهب الى المنع من الصحابة عائشة رضي الله عنها ومن التابعين قتاده بن دعامة واكثر التابعين ومن أتباع الائمة الاربعة واكثر الحنفية والحنابلة كما حكاه الكمال بن الهمام عن اكثر الحنيفة فقال أنه مذهب أجلة علمائهم وكما حكاه القاضي الكبير في اكبر كتبه وقال هو اختيار اكثر اصحابنا أى الحنابلة وأستدلوا على ذلك بقوله تعالى (انك لاتسمع الموتى) وبقوله (وماانت بمسمع من في القبور) وقالوا هذا قاطع متواتر ظاهر في المنع ظاهر في عدم سماع الموتي فلايرد الا بقاطع مثله وذهب اكثر الشافعية والمالكية وبعض الحنابلة واكثر الصحابة والتابعين الي انهم يسمعون واستدلوا على ذلك بمافي الصحيحين انه ﷺ كلم طائفة من قتلى بدر بعد القائهم في بئر من آبارها منهم ابو جهل بن هشام وأمية بن خلف وعتبه بن ربيعة فقال عمر رضي الله عنه يارسول الله اتكلم اجسامًا لاأرواح فيها فقال رسول الله ﷺ

(ما انتم بأسمع لما أقول منهم) وما أخرجه بن منده من مسند عبيد بن مرزوق مرسلا انه ﷺ مر بقبر ام محجن وكانت تقم مسجد النبي ﷺ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم (أى العمل وجدت أفضل قالت قم المسجد . أى تنظيفه) فقيل له ﷺ أتكلم ميتا يارسول الله فقال (والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع منها) وبما أخرجه الحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم أنه صلى الله عليه وسلم مر بقبر فصلى على صاحبه ثم كلمه وسلم عليه فرد عليه ثم قال لاصحابه (ما من أحد يمر بقبر أخيه كان يعرفه فيسلم عليه الا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه) وقالوا هذه الاحاديث تدل على ان الموتي يسمعون وأجابوا عن الآيات بان المنفي فيها سماع الانتفاع لا مطلق السماع جمعا بين الادلة هذا ملخص وجيز لاختلاف العلماء فى سماع الموتي . وقد أجاب المانعون عن هذه الادلة بأن حديث الصحيحين قد انكرته عائشة رضى الله عنها وقالت ما قال النبي صلى الله عليه وسلم ما يقول بن عمر ولكنه قال (انهم الآن ليعلمون ان ما كنت أقول لهم حق) وأجابوا عن حديث بن منده أنه مرسل لا يصح الاحتجاج به وعن حديث الحاكم وغيره بأنه غير صحيح قال الحافظ بن رجب تصحيح الحاكم محكوم عليه عند أهل

الحديث بعدم الاعتبار وهو كما قال فقد صحح كثيرا من الاحاديث الموضوعة كما تقدمت الاشاره اليه والحق أنهم لا يسمعون الا السلام عليهم كما ورد به النص وان سماع قتلي بدر كان خصوصية له صلي الله عليه وسلم اذا صح ماقاله بن عمر وقد روي البخاري بعد ان ساق الحديث وساق انكار عائشة على ابن عمر من رواية أنس عن أبي طلحة عن عمر روى ان قتادة قال احياهم الله لنبيه فسمعوا كلامه والحق ان هذه الاحاديث كلها لا تعارض ظاهر القرآن وانه يقتصر على ماورد به النص ولا يعمم في سماعهم

(خاتمة)

(في حياة أهل القبور وتحقيق الحق في حياة الانبياء عليهم الصلاة والسلام أعلم ان الله تعالى قد نص في الكتاب الكريم علي حياة الشهداء وأنهم عند ربهم يرزقون واذا ثبت ذلك في الشهداء فالانبياء عليهم الصلاة والسلام من باب أولى لان الحياة بعض مايصيب المتقين من النعيم وهم أفضل المتقين وقد صنف الامام البيهقي

كتابا سماه حياة الانبياء بعد انتقالهم الى الدار الآخرة . وقد اختلفت الامة في وجود الانبياء فى قبورهم فاكثر العلماء علي انهم موجودون في قبورهم وأحياء فيها وقد أورد البيهقى من السنة في الاستدلال علي حياتهم بأرواحهم وأجسادهم حديثين هما أصح ما ورد في حياة الانبياء . الحديث الاول حديث اصحاب السنن وأحمد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (ان الله حرم على الارض ان تأكل أجساد الانبياء) الحديث الثانى (ما من أحد يسلم على الا رد الله على روحي حتى أرد عليه) قال البيهقى وهذا أصح شيء في الباب فأما الحديث الاول فقد ضعف البخارى اسناده ولهذا لم يثبته في صحيحه وكذا مسلم ولكنه لايخرج عن كونه حسنا صالحا للاستدلال به على ان الارض لاتأكل اجسادهم وأما الحديث الثاني فيدل على ان الانبياء ليسوا أحياء في قبورهم لان رد الروح يقتضى عدم وجودها وقد أطال السيوطى كلامه في هذا الحديث وأجاب عنه بخمسة عشر جوابا اصحها ما نذكره وقد ارتضاه البيهقى في حياة الانبياء وهو ان قوله (الا رد الله علي روحي) جملة حالية علي تقدير قد والمعنى ما من أحد يسلم على

الا وقد رد الله علي روحي الي آخره . لكنه لايتم هذا الجواب
لا بجمل هذا الحال لازمه للنبي صلى الله عليه وسلم ولا مانع من
التزام ذلك والاستدلال عليه بحديث أصحاب السنن ان الله وكل
به ملكين يبلغانه صلاة وسلام من يسلم عليه من أمته واما غير
الانبياء والشهداء فحياتهم طفيفة بمقدار مايدركون العذاب أو
النعيم . وأما بلاء أجسام غير الانبياء فيدل عليه حديث
الصحيحين (كل بن آدم يبلي الا عجب الذنب) وقد اشتهر بين الناس
ان الاولياء والعلماء والمؤذنين لاتبلى اجسامهم وليس لهذا
مستند صحيح . والحياة الثانية للانبياء وغيرهم من أصحاب
القبور لايعلم حقيقتها الا الله تعالى وهي على كل حال
مخالفة لحياة الدنيا مخالفة تامه اما الارواح بعد خروجها من الجسم فانها
تصعد الى المكان الذي أعده الله تعالى لها من العذاب أو النعيم كما
روى ذلك مالك في الموطأ عن النبي ﷺ فالقول بأن الارواح
منطلقه تطوف حيث شاءت قول مخالف للسنة محض الرأى ولقوله
تعالى (حتي اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لايفرطون ثم
ردوا الى الله مولاهم الحق) الآية ومما تقدم في الكلام على سماع

الموتى وحياتهم في القبور نعلم أنهم لايسمعون لمن يدعوهم ولا يستجيبون اليه كما قال عز وجل في توبيخ من يسألونهم ويقصدونهم للحاجات (والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير ان تدعوهم لايسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولاينبئك مثل خبير) وقال (والذين يدعون من دون الله لايخلقون شيئاً وهم يخلقون اموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون)

قراءة القران للموتى

ومما ينبغي علمه هنا أن قراءة القرآن لاتصل الميت ولا تنفعه لاجماع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم على ترك ذلك ولأن الله ذكر في القرآن ان حكمة انزاله الإنذار والتبشير للاحياء كما قال تعالى (لينذر من كان حيا) بعد قوله (ان هو الا ذكر وقرآن مبين) وقوله (كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته) الآية وغير ذلك وجميع ما ورد من الاحاديث في قراءة القرآن على الموتى في سورة يس وسورة قل هو الله احد باطل فاجتنبه

وأتبع هذا الحق وتدبر قوله تعالى (قل انما أنا بشر مثلكم يوحي الى انما الهكم اله واحد) الآية. ولا تنس ما قدمناه لك من الشروط فى صلاح العمل والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع الحق الى يوم الدين ؟

تمت هــذه الرسالة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه في اليوم الثالث والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ١٣٥١ هجرية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ؟

جمع هذه الرسالة من كتاب الله وسنة رسول الله صلي الله عليه وسلم وأقوال المهتدين من السلف رجاء أجر الله تعالى ورضوانه وبذلا للنصيحة وقياما لحجة الله على خلقه

محمد محمد مخيمر

من علماء الازهر